

المفاهيم والافكار التخطيطية للامتداد والتراص الحضري

أ.م.د. نادية عبد المجيد السلام

الباحث أحمد شمخي جبر

مركز التخطيط الحضري والإقليمي / جامعة بغداد

المقدمة:

يعد موضوع الامتداد والتراص الحضري من المواضيع المهمة في دراسات الشكل الحضري، التي يجب اخذها بالحسبان في عمليات التنمية والتطوير الحضري، نظرا لما له من تأثيرات تحدد مقدار حرية أو تقييد النمو، وتأثيراته الكبيرة على المستوى الاقتصادي وحرية السوق وكذلك طبيعة الاستهلاك للموارد وزيادة التلوث، فضلا عن التأثيرات الاجتماعية المتمثلة بمستويات الازدحام والمشاكل الاجتماعية. يهدف البحث الى معرفة ماهية الامتداد والتراص الحضري، والاحاطة بمجمل الافكار الداعية لهما، ومعرفة التطور التاريخي للمفهومين، ليتسنى تحديد التوجهات الفكرية لهما ومعرفة الافكار العامة والتيارات الفكرية المختلفة لكل منهما وكما سيرد تفصيلها لاحقا.

١- مفهوم الامتداد والتراص الحضري:

من الصعب وضع تعريف موحد ومحدد للامتداد والتراص الحضري، اذ ليس هناك اتفاق بين الباحثين حول تعريف المفهومين، نظرا لتعدد الاشكال والابعاد الحضرية، وبالرغم من عدم وجود هذا الاتفاق، الا ان هناك عدد من التعاريف التي تحظى بقبول نسبي وعادة ما يشير اليها الباحثون الدارسون في هذا المجال، والتي سيركز البحث على توضيحها بالتفصيل.

١-١- المفهوم الاصطلاحي للامتداد الحضري:

ان الالتباس الكبير حول تعريف الامتداد الحضري ناتج من اختلاف التوجهات الفكرية والخبرة في التعامل مع استخدام المناطق الحضرية والاثار المترتبة على هذا الاستخدام، وبالرغم من ان المصطلح استخدم على نطاق واسع الا انه صعب الفهم نتيجة الغموض الذي يتميز به، فهو يستوجب المناقشة الجادة لأنه يطلق على العديد من الحالات المرتبطة بأنماط استخدام الأراضي السكنية وغير السكنية، المصاحبة لعمليات التوسع في المناطق الحضرية، فهو نتيجة لممارسات معينة لاستخدام الأراضي. Galster, et al, 2001,p:381).

وغالبا ما يعرف الامتداد الحضري بأربعة سمات لاستخدام الأراضي والتي تتمثل ب: الكثافة المنخفضة؛ والتنمية المبعثرة، والتنمية الشريطية، والتنمية التي تكون بشكل قفزات. ان السمات الثلاث الأخيرة هي ظواهر مستندة الى الهيكل المكاني للشكل الممتد، على خلاف الامتداد الحضري المعتمد على الكثافة، وان الاشرطة التجارية والقفزات الحاصلة في التنمية الحضرية غالباً ما تحدث في أجزاء معينة في المدن المتروبولتانية، اذ أن درجة الامتداد الناتجة في منطقة العاصمة غالباً ما تعتمد على عدة عوامل مثل الحجم ودرجة عدم استمرارية التنمية. (Ewing , 1997, p:108)

لقد تبين من خلال التحليل لعلوم التخطيط والأدب الاجتماعي انه يمكن حصر تعريف الامتداد الحضري في ست فئات عامة ، حيث يعرف الامتداد كنموذج يمكن ان ينظر إليه بانه يجسد خصائص الامتداد، مثل مدينة (Los Angeles)، او يعرف عن طريق الحكم الجمالي لنمط التنمية الحضرية العامة، باعتباره نمط التنمية القبيح، او بسبب العوامل الخارجية المسببة له، مثل الاعتماد الكبير على السيارات وعزل الفقراء في الأحياء الفقيرة في المدن، وعدم التوافق المكاني بين فرص العمل والسكن، وفقدان السمات البيئية، أو يعرف الامتداد كنتيجة أو اثر لبعض المتغيرات المستقلة، مثل الحكومة المحلية المجزأة، وسوء تخطيط و تقسيم استعمالات الارض ، أو يعرف الامتداد بانه واحد من الأنماط الحالية

للتنمية التي تكون في الكثير من الأحيان منخفضة الكثافة، وبشكل قفزات ، وتتطلب مسافة كبيرة للوصول الى مراكز المنشآت، حيث تكون العمالة والتنمية السكنية منتشرة، ويأخذ التطوير المكاني شكل اشربة مستمرة، ولكن في النهاية يعرف الامتداد بانه: عملية تنمية تحدث على مدى فترة من الزمن مع توسع المناطق الحضرية. (Galster, et al, 2001,p:382)

وغالبا ما يرتبط مصطلح الامتداد الحضري بظاهرة الضواحي بعدّها عنصرا من عناصر عمليات التحول الحضري في المدن المتروبوليتانية، وذلك لعدم وجود لوائح قانونية تسمح بنهج شامل ومتكامل للمناطق الحضرية، وبهذا المعنى، فهي عملية تهدف إلى إنشاء شكل حضري جديد يشير إليه الباحثون على أنه ما بين المدن Intercity ، أو مدينة مشتتة Dispersed City ، أو مدينة شبكية Network City ، أو هيكل غامض أو ضبابي Fuzzy Structure، وبشكل أدق، يمكن تعريف الامتداد الحضري مع أشكال التنمية المكانية التي تشمل الجوانب التالية: كثافة سكانية منخفضة، وانتشار التنمية الجديدة من دون سيطرة، مما يعيق بشكل كبير وصول المشاة وراكبي الدراجات الى وجهاتهم، وإنشاء المجمعات التجارية لبيع المفرد على طول الطرق الرئيسية، إلى جانب مراكز التسوق التي أصبحت مراكزاً للضواحي الواقعة حول المدن الكبيرة، واعتماد السيارة الخاصة كوسيلة رئيسية للتنقل. (Holuj & Litynski, 2015, p: 83)

١-٢- المفهوم الاصطلاحي للترانس الحضري:

لم يكن للترانس تعريف موحد متفق عليه، فقد عُرف بانه التطوير في المناطق ذات الكثافة العالية والتي تضم تركيز العمل والسكن، فضلا عن مزيج من استخدامات الأراضي، وقد يكون أحادي المركز او متعدد المراكز ، حيث توصف بانها مدمجة او مضغوطة . (Tsai, 2005, p: 142)

والتراص هو استراتيجية مقبولة على نطاق واسع يمكن من خلالها تحقيق أشكال حضرية أكثر استدامة، إذ يشير التراص إلى التواصل الحضري والاتصال العالي بين الكتل، مما يوحي بأن التنمية الحضرية تأخذ مواقع متجاورة ضمن الهياكل الحضرية القائمة، وعندما يتم تطبيق هذا المفهوم في النسيج الحضري الجديد بدلاً من القائم، فإنه يشير إلى الاحتواء وتقليص حجم التوسع الحالي، وان التراص في الفضاء الحضري يؤدي الى التقليل من نقل الطاقة، والمياه، والمواد والمنتجات والناس. (Jabareen , 2006 , p:39)

يُشير بعض الباحثين للتراص الحضري بأنه: الحل الطموح والمأمول لمشاكل النمو الهائل في المناطق الحضرية إذ يتضمن معنى التكتيف عند تطبيقه على العديد من المراكز الفرعية ضمن المنطقة الحضرية. (Jenks & Burgess , 2002 , p:349) ، ويشير التراص الحضري الى المدن ذات الكثافة السكنية العالية والاستخدام المتنوع ، حيث تجري التنمية في المقام الأول ضمن حدود المدينة. ويرتبط هذا المفهوم على نطاق واسع بأنظمة النقل العام الفعالة والترتيبات المكانية التي تشجع المشي أو ركوب الدراجات، الا ان التراص قد أسيء تفسيره وتساوى مع الكثافة السكنية المفرطة، وبالتالي أصبح يُفهم بأنه الاكتظاظ، وعدم وجود المساحات المفتوحة أو الخضراء، وارتفاع أسعار المساكن. (Holuj & Litynski , 2015 , p:87) ، كما ان مصطلح التراص الحضري " يثير في اذهاننا الانطباعات الأولية لمدن القرون الوسطى ذات الكثافة العالية التي تتسم بحدودها الواضحة، وتعج بالنشاط اليومي ضمن اسوارها نتيجة للشكل والحجم الصارم، وتضم مزيج من الأنشطة. (Thomas & Cousins, 1996 , p:20)

وهناك تفسيرات اخرى للتراص الحضري تختلف وفقا لطبيعة الحجج المؤيدة والمعارضة للمدينة المتراصة، ففي حالة المستوطنات الحضرية المشتتة يكون التراص محسوساً (افتراضياً) وليس حقيقياً، ناجم عن طرق النقل الفعالة التي تعمل على ربط الوحدات الحضرية المشتتة مكانياً، اما في حالة المدينة المدمجة

المستقلة، فهو يعبر عن حالة الاكتفاء الذاتي والاستقلال عن القوى الخارجية، وكثيرا ما تعتمد حجج الحد من السفر التي تحدد بحجم السكان كعنصر أساسي من عناصر التراص الحضري، أي أن المناطق الحضرية الكبيرة يجب أن تدعم بمجموعة كاملة من الخدمات والمرافق. (Burton, 2000, p:220) ، وبالرغم من ان التراص الحضري مفهوم غامض وله تعريفات متعددة لكنه ينطوي في النهاية على عملية تركيز التنمية في المنطقة الحضرية. (Tsai, 2005, p:142)

ومن الجدير بالذكر ان هناك ايضا تعاريف اخرى للتراص وضعت على أساس القياس حيث يتم تمييزه بقياس المسافة من البيت إلى منطقة الأعمال في مركز المدينة، ويمكن تمثيل ذلك في مدينة افتراضية أسطوانية الشكل ذات توزيع عادل للتنمية في جميع اجزائها، اي بمعنى كلما قلت المسافة تكون درجة التراص اعلى والعكس صحيح، كما يمكن بالطريقة نفسها تمييز الامتداد الحضري. (Bertaud & Malpezzi, 2003, p:20)

مما تقدم يمكن وضع تعريف اصطلاحي للامتداد الحضري بانه: النمط المكاني المادي منخفض الكثافة الذي يأخذ شكل التنمية المتناثرة الممتدة وغير المستمرة التي تكون على شكل شرائط من الاستخدامات المنفصلة، وغالبا ما يظهر عند حافات المدن الكبيرة مترامية الاطراف والمناطق الزراعية المحيطة بها أو عند الضواحي او بامتداد الشوارع الرئيسية للنقل.

اما التراص الحضري: فهو النمط المكاني المادي الذي يتسم بارتفاع الكثافة والتركيز للسكان والانشطة في المدن والذي يأخذ شكل التنمية المتضامة المتجاورة المستمرة والتي تظهر بوضوح في مراكز المدن الكبيرة وغالبا ما تنطوي على مزيج استعمالات الارض والقرب المادي في الحركة والتنقل وقد يتخذ شكلاً حضرياً ذو مركز واحد أو مراكز متعددة.

٢- التطور التاريخي لمفهومي الامتداد والتراص الحضري.

ان السبب الرئيس في بزوغ المدن الى حيز الوجود هو وجود الحرفيين المتقاربين والذين كان بإمكانهم تقديم خدمة أفضل من حالة القرى الزراعية المنفصلة، عن طريق العمل معا في موقع مركزي. وفي نهاية المطاف مثلت المدن مراكز القوى التي تزيد من قدرة الناس في الدفاع عن أنفسهم وممارسة السلطة على منافسيهم، وهكذا فان المدن كانت ولاتزال تمثل جوهر الحضارة بلا منازع. (p:250, Sherlock ,1996)

ومن الصعب أن نعرف متى بدأ مراجعة تاريخ المناقشات حول الأشكال الحضرية، ولعل من الإنصاف القول بأن وجهات النظر حول الامتداد الحضري قد حظيت بفترة زمنية أطول، وان تخطيط المدن العملي الواعي المتطور في أوروبا وأمريكا الشمالية كان رد فعل على رداءة البيئة للمدن والبلدات التي أقامتها الثورة الصناعية. (p:11, Breheny ,1996)

وقد عبر الباحث Michael Breheny¹ عن التوجهات التي تمثل الامتداد الحضري والنماذج الممتدة والمشتتة باللامركزية Decentrism ، اما التوجهات التي تمثل التراص والتركيز الحضري ونماذجه فعبّر عنها بالمركزية Centrism، وأوضح ان النقاش بين انصار المركزية وانصار اللامركزية استمر لسنوات، وكانت له دوافع مختلفة، حيث كان الاهتمام الأساسي منصباً على نوعية الحياة الحضرية والريفية، ومن ثم الاهتمام بجماليات التحضر. ان تخطيط مدن القرن العشرين يمثل رد فعل على مشاكل المدن في القرن التاسع عشر، وتجسد ذلك في اعمال كل من Howard ، Geddes ، Wright ، Le Corbusier ، وصولاً إلى Mumford، وأستمر هذا الدافع حتى فترة ما بعد الحرب في العام ١٩٤٥، وذلك بسبب تزايد ظهور المشاكل في مدن القرن العشرين التي أُفتُرض بأنها ستكون اقل سوءاً، وتبعاً لذلك ازدادت دوافع التخطيط، واستمر ظهور المؤيدين لكل من افكار اللامركزية والمركزية في التخطيط . (p:11, Breheny ,1996)، ففي المملكة المتحدة اتخذت هذه الأفكار شكل مشاريع خاصة، في وقت مبكر من

القرن التاسع عشر وما بعده، وبدأت أكثر وضوحاً في مشاريع New Lanark, Saltaire, Port Sunlight, Bournville, & New Earswick ، وكان القاسم المشترك بين كل هذه المبادرات هو الرغبة في تخطيط مجتمعات صحية وتحقيق الكفاءة للمناطق المحيطة بها، بعيداً عن تردي الأوضاع الصحية والازدحام في المدن الصناعية. (Breheny ,1996 ,p:11)

يمكن تقسيم مراحل التطور التاريخي لتخطيط المدن إلى ثلاث مراحل أساسية: تتمثل المرحلة الأولى في المدة التي شهدت الثورة الصناعية وتكدس الصناعات في المدن مما أدى إلى سوء واقع المدن، حيث مثل التخطيط ردة فعل على رداءة نوعية الحياة الحضرية ، واستمرت هذه الفترة من نهاية القرن التاسع عشر وتحديداً في العام ١٨٨٠ إلى الحرب العالمية الثانية ١٩٤٥ ، تلتها المرحلة الثانية المتمثلة في فترة ما بعد الحرب التي شهدت بزوغ توجه جديد لممارسات التخطيط الحضري والإقليمي في محاولات لإنشاء مدن جديدة لاستيعاب الأعداد الكبيرة للسكان النازحين ، واستمرت هذه المرحلة لغاية العام ١٩٩٠ ، بعد ذلك ظهرت المرحلة الثالثة المتمثلة بظهور مفهوم الاستدامة في مؤتمر الورقة الخضراء ، حيث تعالت مناقشات الحفاظ على البيئة وترشيد استهلاك الموارد ، وأصبحت الممارسات التخطيطية تأخذ في منظورها الأبعاد البيئية والاجتماعية والاقتصادية، وفيما يلي توضيح لهذه المراحل:-

٢-١- المرحلة الأولى (١٨٨٠-١٩٤٥)

ان بداية هذه المرحلة تمثلت في مقترح المهندس الإسباني Arturo Soria Mata في العام ١٨٨٢، الذي يدين له تاريخ تخطيط المدن بفكرة أساسية مهمة، تمثلت في مقترح المدينة الخطية Linear City ، والتي اقترح تطويرها على طول محاور النقل السريعة التي تتميز بكثافة مرور عالية خارج مراكز المدن القائمة ، وكانت حجته في أن المدن تقع تحت تأثير أشكال جديدة من وسائل النقل الجماعي، إذ تميل المدن في أن تأخذ شكلاً خطياً، و كان مقترحه هذا داعماً للتخطيط اللامركزي. (Hall, 2002 ,p:45)

ولكن الفترة الأكثر أهمية في هذه المرحلة تمتد من العام ١٨٩٨ وحتى العام ١٩٣٥، حيث تم فيها تثبيت حدود النقاش حول طبيعة الاشكال الحضرية، اذ ظهرت فكرتان تمثلان الحالة القصوى لكل من الامتداد والترانس الحضري في العام ١٩٣٥، تمثلت الفكرة الاولى بـ Radiant City المقترحة من قبل Le Corbusier والتي دافع فيها عن المركزية، وتمثلت الفكرة الاخرى بـ Broad acre city المقترحة من قبل Frank Lloyd Wright رائد اللامركزية، والملاحظ ان كلا من Le Corbusier و Frank Lloyd Wright قد تأمل في الموقف الوسطي الذي تبناه Ebenezer Howard في فكرة المدينة الحداثية Garden City، واستفاد منه ومن تطبيقاته العملية المتمثلة بـ: Letchworth, Welwyn (Garden City & Hampstead Garden Suburb ,1996 ,p:12)

نُشرت المدينة الحداثية لـ Ebenezer Howard ، في شكلها الأصلي في العام ١٨٩٨، وقد أُدِينت من خلالها المجتمعات الحضرية الكبيرة وأُقتَرِح بدلاً عنها مجموعات صغيرة، كثيفة نسبياً، تعيش على مسافة قريبة من أماكن العمل، وتعتمد في التنقل على الترام أو السكك الحديدية لربط كل مدينة بجارتها التي تُفصل عنها بميلين من المناطق الريفية المفتوحة، ثم جاءت مدينة Letchworth الجديدة المصممة من قبل Parker & Unwin في المدة (١٩٢٠ - ١٩٣٠) ، لتمثل التطبيق العملي لأفكار هوارد التخطيطية، حيث طُبِقَ فيها مبدأ حرية الملكية للسكن فضلاً عن افكار أخرى. (Sherlock ,1996 ,p:251)

اما Frank Lloyd Wright فيمثل بوضوح الحالة اللامركزية القصوى في مدينته المخططة Broadacres ، حيث يريد رايت ان تصبح كل الولايات المتحدة الأمريكية أمة من الأفراد ، وان تحصل الاسرة على منزلها المنفرد (Fishman, 1977, p: 37) ، ويعتقد رايت أن الاستقلالية يجب أن تقوم

على الملكية الفردية، وأن اللامركزية تجعل بإمكان الجميع العيش بأسلوب حياتهم الذي يختارونه وعلى أرضهم الخاصة. (Wright , 1935 , p:346)

تتبع دعوة Wright من رؤيته بأن محرك السيارة والكهرباء سيخفف القيود على المدن، مما يمكنهم من الانتشار والخروج الى الريف. (Breheny , 1996 , p:13) ، حيث يمكن استخدام التكنولوجيا الجديدة ليعود الناس إلى أرضهم، التي تمثل حقهم الطبيعي وعليهم استعادته، وكانت رغبة Wright في تحقيق وحدة الحياة عن طريق جعل المسكن مع المصانع والمدارس والمخازن التي تنتشر عبر المناظر الطبيعية الزراعية. (Wright , 1935 , p:347)

أما Le Corbusier في مقترحه للمدينة المشعة فقد كانت له وجهة نظر مختلفة عن وجهة نظر هوارد ورايت ، إذ أكد على زيادة الكثافة الحضرية بدلا من تقليلها والعمل على تخفيف الازدحام في مراكز المدن عن طريق زيادة كثافتها بواسطة الأبراج العالية التي ستزيد من المساحة المفتوحة وتعمل على تحسين الحركة والنشاط ، واقترح الإزالة الكلية للمدن وإعادة بنائها من جديد لتطبيق فكرته. (Jabareen , 2006 , p:46)

وقد ظهر توجه مهم في الولايات المتحدة الأمريكية يمتد تقريبا على كامل فترة الاستعراض السابقة والذي تمثل بحركة التخطيط الإقليمي ، والدعوة إلى التخطيط على نطاق إقليمي من قبل Lewis Mumford ، وجمعية التخطيط الإقليمي الأمريكية، وكان هذا التوجه يؤكد على ضرورة وضع أي محلة ضمن نطاق أوسع من سياقها الاقتصادي والاجتماعي والمادي، وأدى ذلك إلى فكرة المسح الشامل للمدينة أو الإقليم، بحيث يكون التخطيط في النطاق العام لإقليم المدينة، وتمثلت هذه العملية في أفكار Thomas Adams عندما وضع الخطة الإقليمية لنيويورك في العام 1927 ولغاية 1931 وخطة لندن الكبرى في العام 1944. (Breheny, 1996 , p:13)

بالرغم من ان بداية السرد التاريخي لهذه المرحلة قد تمثل بمقترح المدينة الخطية لـ Soria Mata الذي دعى الى الامتداد وفك القيود المفروضة على النمو داخل المدن، ولكن المساهمة الاكثر تأثيراً تجسدت في تحديد ثلاثة افكار رئيسية انعكست بوضوح في اشكال تخطيط المدن ، وذلك في فكرة المدينة الحدائقية التي شكلت الموقف الوسطي بين الامتداد والتراص، و فكرة مدينة الفدان الواسع التي مثلت الشكل الحضري الممتد ، وفكرة المدينة المشعة التي مثلت الشكل الحضري المتراص ، وقد عدت هذه الافكار النواة الاساسية لانبثاق الافكار التخطيطية الاخرى التي تلتها ، مثل افكار حركات التخطيط الاقليمي التي مثلت استجابة لمقترح Howard في مدينته الحدائقية، وتلت ذلك افكار وحركات تخطيطية اخرى جاءت استجابة لأفكار Wright في مدينة الفدان الواسع وافكار Le Corbusier في المدينة المشعة وكما ستوضحها المرحلة اللاحقة.

٢-٢- المرحلة الثانية (١٩٤٥-١٩٩٠)

بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية ١٩٤٥، أعلنت حكومة لندن أنها تؤيد مبدأ اللامركزية، ووضعت خطاً على اساس هذا المبدأ ، تمثلت في انشاء (المدن الجديدة)، واوزت بتشكيل لجنة لتخطيط المدن، برئاسة اللورد Reith^٣ ، حيث أنشأ لجنة المدن الجديدة وسرعان ما أنتج تقريرين في وقت مبكر من العام ١٩٤٦، وأوصى بأن المدن الجديدة ينبغي أن تبنى على اساس مبدأ المدينة الاجتماعية التي اقترحها هوارد . (Hall,2002 ,p:65) ، وقد ابدى Narin^٤ مخاوفه في العام ١٩٥٥ من الزحف للضواحي ، واختفاء التمييز بين المدينة والريف كحالة جديدة، وانتشار مظاهر الضواحي البدائية و اطلق عليها اسم "افرازات الضواحي" التي اعتمدت في اماكن كثيرة في انجلترا، كما عدّ المخططين بأنهم السبب الرئيس في تعزيز فكرة "Subtopia" (ضاحية + مدينة فاضلة) لأنهم تمسكوا بالسياسات منخفضة الكثافة والتشتت ،

وعلى هذا الأساس توقع لمدن إنجلترا ان تكون بحجم غير محدود بسبب الامتداد الحضري (p:14, Breheny, 1996)

تعد Jane Jacobs من اقوى المناصرين للمركزية في العام ١٩٦٠ ، الا ان نقدها طال بعض منظري المركزية المُغيرين في المناطق الحضرية ، مثل Le Corbusier ، الذي قام بحملة الازالة للمدن واللجوء الى الحلول المادية عن طريق المباني المرتفعة والتي وصفتها بأنها "عملية جراحة حضرية" ، وقد طرحت Jacobs فكرة التنوع الحضري (Urban Diversity) التي أرادت منها الإبقاء على حيوية المناطق الحضرية والتنوع الذي وجدته في حيتها في نيويورك، ودعت إلى الكثافة الحضرية العالية لخلق التنوع الذي يخلق الثراء للحياة الحضرية التي كانت تتمتع به مدينة نيويورك. (p:15, Breheny, 1996)

وعند النظر في تاريخ فلسفة المدن نجد مراجع De Wolfe^٥ المنشورة في العام (١٩٧١) في رؤية كثافات وارتفاعات المدينة في كتابه Civilia^٦ ، اذ ندد بالموقف المهيمن من قبل اللامركزيين، والحملة التي أطلقوها، عندما توقعوا ان الحياة في الضواحي ستكون خياراً شعبياً بالنسبة للقادرين على دفع ثمنها، كما افترضوا ان القيود المفروضة على التنمية خارج المدن قد رفعت من سعر السكن اللائق. (p:12, Breheny, 1996)

وقد اقترح Dantzig & Saaty^٧ في العام ١٩٧٣ فكرة المدينة المدمجة، وكانت رؤيتهم تعتمد على تحسين نوعية الحياة، لكن ليس على حساب الجيل القادم، والفكرة تتوافق مع المبادئ المعاصرة للتنمية المستدامة عموماً، وإن فكرة المدينة المدمجة تتضمن العديد من الاستراتيجيات التي تهدف إلى خلق الترافض والكثافة التي يمكن أن تُجنب كل المشاكل الناتجة من التصميم الحديث للمدن (Jabareen , p:٤٦, ٢٠٠٦ ، وان اقتراح (Dantzig & Saaty) للمدينة المدمجة ، يمثل شكلاً أكثر تطرفاً في معسكر انصار المركزية وكانت فكرتهما تستند على ان المدينة المدمجة تهدف إلى الحد من الزحف

العمراني والحفاظ على المناطق الريفية المفتوحة. وخفض استهلاك الطاقة الى الحد الأدنى. (p:15).
(Breheny ,1996)

مما سبق نجد تأييداً للموقف الوسطي في بداية المرحلة، الذي تبناه هاورد في المدينة الحدائقية وتجسد ذلك في حركة تخطيط المدن الجديدة الذي ترأسها اللورد Reith في سياسة التخطيط البريطانية ، وبعد ذلك ظهر عدد من المفكرين امثال Narin و Jacobs و De Wolfe ، انتقدوا سياسة اللامركزية والتمدد والانتشار الحضري، ودعوا الى التراف وزيادة التركيز في المناطق الحضرية وتشجيع التنوع والتجديد الحضري، اما النصف الثاني من هذه المرحلة وحتى نهايتها فقد هيمنت فكرة المدينة المدمجة لـ Dantzig & Saaty والتي دعوا فيها الى التراف الحضري والكثافات العالية للحد من الزحف العمراني وخفض استهلاك الطاقة لغرض تأمين حق الاجيال اللاحقة ، حيث كانت هذه الفكرة تمهيدا لانبثاق فكرة الاستدامة في العام ١٩٩٠ ، وكما ستوضحها المرحلة اللاحقة.

٢-٣- المرحلة الثالثة (١٩٩٠ وحتى الان)

ساهم Newman & Kenworthy في العام ١٩٩٠ بتعزيز مفهوم التراف الحضري من خلال تعزيز المبررات الايكولوجية والبيئية والدعوة إلى المدن المدمجة مكانيا، مع مجموعة متنوعة من الاستخدامات، حيث يمكن اعادة استخدام المناطق الحضرية عن طريق عمليات التجديد والاملاء الحضري، مع التأكيد على وجود تركيز عالي من الناس، فضلا عن انها توفر الحماية للأراضي في المناطق الريفية التي ستحميها الحدود الحضرية. (Jabareen , 2006, p:46)

واقترح Richardson & Gordon^١ في العام (١٩٩٠) ما يعرف بـ (قوى السوق الحرة) التي تعد من التوجهات الواضحة في لامركزية التخطيط ، و كانا من أنشط المشجعين لهذا الخط ، وأقوى منتقدي إدارة النمو والحملات المضادة للامتداد في الولايات المتحدة، وتلخصت مساهمته في النقاش تلخصت بالترويج

لكفاءة الأسواق عموماً. (Breheny, 1996, p:19)، حيث ناقشا التكلفة الاقتصادية المفروضة في حالة السيطرة على النمو وتأثيرها المترتب على الناتج المحلي وفقدان فرص العمل والوظائف لسكان المدن. (Richardson & Gordon, 1993, p:350)

من جهة أخرى أصبحت الهيئة الأوروبية في العام (١٩٩٠) من أوائل المدافعين المؤثرين في الدعوة الى الاحتواء الحضري والأشكال الحضرية الأكثر ترانسا، التي تعمل على زيادة كفاءة استخدام الأراضي وتشجيع مزيج استعمالات الارض في المناطق الحضرية القائمة، وهذا يشجع طرق بديلة للنقل، مثل المشي وركوب الدراجات، واستخدام وسائل النقل العام، الذي بدوره يؤدي إلى تحقيق الفوائد البيئية والاجتماعية والاقتصادية. (Jenks & Jones, 2010, p:2)

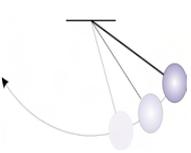
ويعتقد أنصار العمران الجديد إن الأحياء التقليدية ذات الشوارع الضيقة التي ظهرت في القرن التاسع عشر والتي تتميز بأنواع المباني واستخدامات الأراضي المتنوعة، لا تزال الى اليوم من الأحياء الأكثر حيوية وجاذبية، وذات طابع اجتماعي مميز. (Jabareen, 2006, p:43)، حيث دعوا الى استراتيجيات التمدن القائمة على التصميم الجديد وعلى أساس الأشكال الحضرية التقليدية للمساعدة في الحد من الامتداد العمراني وانخفاض الكثافة داخل المدن والتأكيد على إعادة البناء للأحياء والمدن.

(Jabareen, 2006, p:43)، وقد تبلورت افكار الحركة في مؤتمر التحضر الجديد لمجموعة من المعماريين في العام (١٩٩٣)، وكان من ابرزهم 'Calthorpe الذي اختص بالعمل على المستوى الاقليمي وفق نهج يعرف بالتنمية الموجهة بالنقل (T.O.D.) ، وقد سبق ذلك توجه التنمية التقليدية الجديدة (T.N.D) من قبل Duany & Zyberk^{١١} اللذين كان لهما الفضل في تبلور افكار الحركة. (Rahnama, et al, 2012 ,P:196,P: 199,P:200)

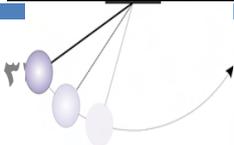
وظهرت حركة (النمو الذكي) في منتصف العام ١٩٩٠، عندما بدأت عدة جهات مؤسسية كبيرة في مجال التنمية الحضرية بالترويج لنموذج بديل للنمو وقد جاءوا بالدعوة للنمو الذكي، وأول جهد كان من قبل الجمعية الأمريكية للتخطيط، وقسم الاسكان والتنمية الحضرية في الولايات المتحدة، ومؤسسة Henry (M. Jackson)، التي تختص في تجديد استخدام الأراضي المحلية وتؤكد على التحكم في أنماط التنمية لجعلها أكثر ترافاً. أدى ذلك إلى صدور وثيقة "النمو الذكي" في العام ١٩٩٧. (Burchell, et al, 2000,p:824, P:825)، وقد تعاملت الحركة مع القضايا التي توازن بين البيئة والمحافظه على المواقع التاريخية في تطوير العقارات والنقل، كما اشاروا الى قضية الامتداد والتكاليف الاجتماعية والمالية المرتبطة به، وقد استعارت الحركة بعض الأفكار Calthorpe لتحقيق المنافع عن طريق التنمية الموجهة بالنقل والأشكال الحضرية المدمجة، وما جاء في نهج تخطيط الاحياء التقليدية الجديدة (Goetz, 2004, p:45).

مما سبق نلاحظ انه بعد مؤتمر الورقة الخضراء في العام ١٩٩٠ ظهرت افكار تؤكد على التراص، والابتعاد عن الامتداد الحضري، وبشكل خاص في التوجهات العالمية الداعية الى الاستدامة والحفاظ على البيئة والموارد، تجسد ذلك في افكار Newman & Kenworthy اللذان ايدا نموذج المدينة المتراسة الاكثر احكاما وانتقدا توجه Gordon & Richardson في دعوتها بعدم السيطرة على النمو وفرض القيود عليه وقدمتا حجتهما في ذلك. وفي نهاية الاستعراض الادبي نجد ان الدعوة للتراص قد شهدت تراجعاً نسبياً من اقصى التراص واخذت شكلا جديدا تمثل في الاستقرار عند نقطة التراص المعتدل الذي يوازن بين البيئة وعمليات التنمية والتحضر، والذي ظهر في حركة العمران الجديد والنمو الذكي، والجدول (١) يلخص التطور التاريخي لمفهوم الامتداد والتراص الحضري للمراحل الثلاثة التي تم سردها اعلاه :-

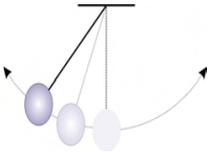
جدول (١) المراجعة التاريخية لحركات تخطيط المدن بين الامتداد والتراص الحضري ومبرراتها						
حركات التخطيط بين		المبررات	توجهات التراص	توجهات الامتداد	رائد الفكرة	الفترة التاريخية
الامتداد الحضري	التراص الحضري					
المرحلة الاولى (١٨٨٠ - ١٩٤٥)						
	أن المدن تقع تحت تأثير أشكال جديدة من وسائل النقل الجماعي، حيث تميل المدن في أن تأخذ الشكل الخطي.		Liner city	Arturo Soria Mata	١٨٨٢	
	المزاوجة بين المدينة والريف لكون المدن لديها بعض الخصائص الجذابة ، و احاطة المدينة بحزام من الأراضي الزراعية يوفر للمدينة المنتجات، وسيكون بمثابة الحزام الأخضر الذي		Garden Cities movement	Ebenzer Howard	١٨٨٩	

	يمنع المدينة من الامتداد إلى الريف المجاور.				
	زيادة الكثافة عن طريق بناء الأبراج العالية تزيد من المساحة المفتوحة وتحسن الحركة والنشاط	Radiant City	Le Corbusier	١٩٢٢	
	الاستقلالية و الملكية الفردية والدعوة الى اللامركزية التي من الممكن ان تجعل للجميع أن يعيش أسلوب حياته الذي يختاره على أرضه.	Broadacres City	Frank Lloyd Wright	١٩٣٥	
المرحلة الثانية (١٩٤٥ - ١٩٩٠)					
	تعزيز المبدأ الاجتماعي في المجتمع عن طريق اقتباس افكار المدينة الاجتماعية لهوارد.	New Towns	Reith	١٩٤٦	

	<p>أن المجتمع لديه الجاذبية اتجاه الطبيعية، مع ضرورة وضع أي محلة في السياق الاقتصادي والاجتماعي والمادي الاوسع</p>		<p>New Towns Movement</p>	<p>Mumford</p>	<p>1955</p>
	<p>انتقد اختفاء التمييز بين المدينة والريف كظاهرة جديدة، وانتشار مظاهر الضواحي البدائية والتي اطلق عليها اسم "افرازات الضواحي".</p>	<p>Attack Against Subtopia</p>		<p>Narin</p>	<p>1955</p>
	<p>دعت إلى الكثافة الحضرية العالية على أساس أن كثافة تخلق التنوع؛ وهذا التنوع يخلق الثراء للحياة الحضرية.</p>	<p>Urban Diversity</p>		<p>Jacobs</p>	<p>1960</p>
	<p>استنكار الامتداد والاعتماد على السيارة، وتشجيع التجديد الحضري والكثافة الحضرية العالية، وشجب موقف</p>	<p>Civilia</p>		<p>De Wofle</p>	<p>١٩٧١</p>



	اللامركزيين والامتداد الحضري.				
	الحد من الزحف العمراني والحفاظ على المناطق الريفية المفتوحة حيث توفر هذه امكانية السيطرة على المناخ داخليا ، والسفر بين المسافات للوجهات الأفقية والعمودية سيكون منخفض جدا، مما يخفض من استهلاك الطاقة للحد الأدنى.	Compact city		Dantzig & Saaty	١٩٧٥
المرحلة الثالثة (١٩٩٠- ولحد الان)					
	الأشكال المدمجة من شأنها أن تقلل الزحف العمراني، وتوفير الحماية للأراضي الزراعية ، ويؤدي ذلك إلى زيادة كفاءة استخدام الأراضي في المناطق الحضرية القائمة، التي توضع بالقرب من مزيج	Compact City		Newman & Kenworthy	١٩٩٠

	<p>استخدامات الارض ، وهذا يشجع طرق بديلة للسفر ، مثل المشي وركوب الدراجات، واستخدام وسائل النقل العام. مما يؤدي إلى تحقيق الفوائد البيئية والاجتماعية والاقتصادية.</p>				
	<p>افتترضوا ان تقييد النمو سيسبب في فقدان الكثير من الوظائف وفرص العمل لسكان المدن.</p>		<p>Market Solutions Good 'life</p>	<p>Gordon & Richardson</p>	<p>١٩٩٠</p>
	<p>الاعتماد على السوابق التاريخية لتخطيط المدن التي تتميز بأنواع المباني واستخدامات الأراضي المتنوعة التي لاتزال الى اليوم من بين الأحياء الأكثر حيوية وجاذبية، وذات طابع شعبي</p>	<p>New Urbanism</p>		<p>Calthorpe , Duany , Zyberk</p>	<p>١٩٩٣</p>

	اجتماعي مميز عن طريق مزج توليفات مختلفة من أنواع المساكن في الأحياء، بدلا من الكتل العمرانية الضخمة، والضواحي، أو المشاريع خارج المدينة.				
	تجديد استخدام الأراضي المحلية والتأكيد على التحكم في أنماط التنمية الأكثر ترصاً والتوازن بين البيئة والمحافظـة على المواقع التاريخية في التطوير العقاري والنقل، والتكاليف الاجتماعية والمالية المرتبطة والناجـة من الامتداد الحضري .	Smart Growth		APA, HUD, Burchell	١٩٩٧

ان الافكار والمقترحات التي تم سردها في المراحل الثلاث اعلاه تقود في النهاية الى وضع مسارات تخطيطية تتكون من مجموعات من المخططين، ولكل مجموعة توجهاتها الفكرية الخاصة للدعوة الى شكل حضري معين، وهذا ما سيتناوله البحث في الفقرة الاتية.

٣- التوجهات الفكرية للامتداد والتراص الحضري :-

ان الدعوة لمناقشة شكل وهيكل المدينة قد تعززت في عدد كبير من المنشورات والمؤتمرات العالمية والمشاريع البحثية ، ولا سيما تقرير (Brundtland) الصادر عن مؤتمر القمة العالمي للتنمية المستدامة ١٩٨٧ ، ومؤتمر الورقة الخضراء ١٩٩٠ ، وجدول أعمال قمة الأرض ٢١ للأمم المتحدة ١٩٩٣ ، حيث ركزت العديد من اقسام هذه التقارير على شكل وهيكل المدينة المستدامة. (p:34 ،

(Frey, 2005

اعتقد البعض بأن المدينة لا مستقبل لها، نظرا لتطور أنظمة الاتصالات أكثر من أي وقت مضى، و لهذا لا تكون هناك حاجة للعمل في المدينة، حيث ان القدرة على العمل والتواصل من المنزل سيؤدي إلى تقاوم التشتت الحضري (Troy, 1996, p:207) ، مع ذلك فان الغالبية المتزايدة من سكان العالم يعيشون في المدن، ولا يمكنهم التخلي عن المدينة، لكونها المكان الذي يعمل ويعيش فيه الناس، فضلا عن انها تعبر عن تاريخ وقيم وثقافة المجتمع ، ومن المهم معرفة الشكل والهيكل اللذان سيجعلان المدينة أكثر استدامة، لتحقيق القضايا الاقتصادية والاجتماعية والبيئية. (Frey, 1999، p:34)

وقد نوقشت مزايا المدن الممتدة والمتراصة المتمثلة بامتداد الضواحي مقابل التكتيف الحضري منذ القرن التاسع عشر، عن طريق الانقسام الشديد بين دعاة اللامركزية "Decentrist" (نماذج المدن المشتتة) ودعاة المركزية "Centrist" (نماذج المدن المتراصة) (Johansson,et al, 2012, p:1366) ، وقد طرحت حجج قوية للقطين : الاول المركزية والاحتواء الحضري، والثاني التشتت والتطوير منخفض الكثافة، وكلاهما يؤكدان وجود صلة بين الشكل الحضري والاستدامة. (Jenks, etal,2005,p:297)

كما حددت مقترحات اخرى أكثر تأثيرا في حجم وشكل المدن تلخصت بأربع فئات رئيسية من التوجهات تمثلت باللامركزية والتشتت (عودة المدينة إلى الطبيعة) وتحقيق التكامل الإقليمي (التوازن مع البيئة الطبيعية)، واللامركزية المركزة (تنمية الكثافة المختلطة وإمكانية الوصول إلى الفضاء الأخضر)، والتكثيف والتركيز الحضري (ترويض الطبيعة) (Houghton & Hunter, 1994, p:278) وبالرغم من اختلاف التسميات والتوصيفات للتوجهات التخطيطية المختلفة اعلاه، الا انه يمكن ان تكون في قسمين رئيسيين هما: الامتداد الذي يندرج تحت تسمية؛ اللامركزية وحرية النمو، والترافض الذي يندرج تحت عنوان؛ المركزية والسيطرة على النمو وكل من هذين التوجهين يضم خطين آخرين ، وهذا ما سنتناوله بالشرح والتفصيل، وكما يلي :-

٣-١- اللامركزية وحرية النمو: Decentralization and Growth Freedom

اللامركزية الحضرية هي العملية التي بدأت بإدخال السكك الحديدية وتفاقت بسبب إدخال السيارة كوسيلة للنقل الجماعي وهي مستمرة، ومدفوعة بقوى اقتصادية قوية، فضلا عن الطلب على النوعية العالية من المعيشة لذوي الدخل العالي والمتوسط ، حيث تعبر الأشكال الحضرية المركزية بالنسبة لهم عن مستوى معيشة لمجموعات الدخل المنخفض، الذين ليس لديهم وسائل للهرب من السكن عالي الكثافة. (Frey, ١٩٩٩,P:٤٠) ، وتدعي الحجج المضادة للمدن المترافضة التي تأتي في الغالب من التجربة الأسترالية، في أن الكثافات المنخفضة يمكن أن تكون مستدامة ، وأن نوعية الحياة داخلها أعلى بكثير من المدن المترافضة. (Jenks, et al,2005 ,p:297)

ان الاتصالات السلوكية واللاسلكية تسمح للناس بالعيش في البلديات وهذا يجعل مفهوم المدن المترافضة في حالة تناقض، حيث انها تهمل المجتمعات الريفية التي ظهرت في ظل سياسة التشتت، و ان التنمية الاقتصادية الريفية ستكون مهددة بسبب تركيز الأنشطة داخل البلديات والمدن القائمة، كما سيتم الاستيلاء

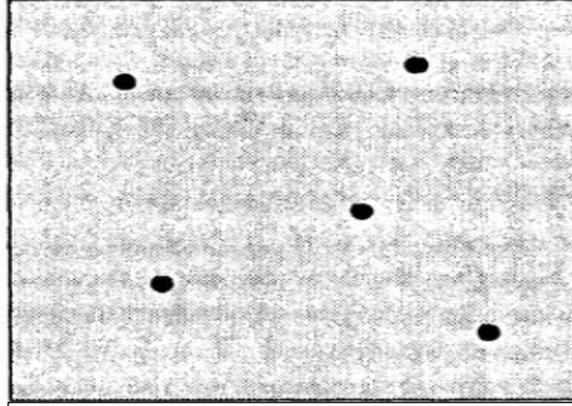
على الفضاءات المفتوحة داخل المدن ونتيجة لذلك ستسوء نوعية البيئة في المدينة، إذ إن الكسب الشمسي الأمثل يتطلب مساحة مفتوحة وكثافة أقل، فضلاً عن أن وفورات الطاقة تتحقق مع المنازل المنفصلة وشبه المنفصلة ذات الطابق الواحد، وإدخال الطاقة سيقبل في حالة السكن متعدد الطوابق والشقق، كما ستزداد حالة الفصل الاجتماعي في المدينة المتراسة نتيجة لارتفاع تكلفة الإقامة في وسط المدينة وفي الضواحي الخارجية الأكثر تميزاً، فضلاً عن أن المدينة المدمجة لن تكون قادرة على الاستجابة للزيادة المتوقعة في عدد الأسر، إذ سيكون من الصعب فرض درجة عالية من السيطرة الاجتماعية وتوجيه القرارات المحلية، كما إن جدوى توفير مرافق المجتمع ستقل بزيادة حجم المدينة. (Frey, 2005، p:37,P:36)

وقد حدد Robert Fishman^{١٢} خطين أساسيين في توجه اللامركزية، تمثلاً باللامركزية المعتدلة Moderate Decentralization، واللامركزية المتطرفة Extreme Decentralization، وذكر بأن لكل توجه من هذه التوجهات آثاره السياسية والاجتماعية المقابلة. (Fishman,1977 ,p:22)، كما خلص Breheny في بحثه عن مستقبل الأشكال الحضرية، إلى تصنيف المواقف في البداية إلى مجموعتين: "اللامركزيين" Decentrism الذين يفضلون اللامركزية الحضرية، إلى حد كبير لكونها رد فعل على مشاكل المدن الصناعية؛ على عكس المركزيين "Centrism" الذين يؤمنون بفضائل المدن عالية الكثافة ويشجبون الامتداد الحضري، واعتقد بموقف ثالث يجمع محاسن المجموعتين بحسب رأيه، دعاه بالموقف الوسطي Compromisers. (Jenks, et al,2005,p:10)، مما سبق ويمكن إجمال التوجهات الداعية إلى اللامركزية بفرعين رئيسيين :-

٣-١-١- توجهات الامتداد الشديد (اللامركزية المتطرفة) Extreme Decentralization

ان نوعية الحياة هي الدافع الرئيسي لهذه المجموعة من اللامركزية، والتي تم تحديدها تحت عنوان الحياة الجيدة، تمثلت بالحياة منخفضة الكثافة واعتقد أنصار هذا التوجه ان عصر الكهرباء من شأنه أن يجلب لا مركزية سريعة، والتركيز على "القيم الريفية"، وعلى المجتمعات المنتشرة جغرافيا والتي تملك فيها الأسر ما يكفي من الأراضي لتصبح مكتفية ذاتيا في إنتاج المحاصيل، وموقع ورش العمل والمصانع والحقول سيكون جنبا الى جنب. (Breheny,1996,p:24)

يعد نموذج مدينة الغدان الواسع Broadacres للمعماري فرانك لويت رايت، النموذج الاساس في اللامركزية المتطرفة، ووصف بانه وسيلة لتحديد مجموعة كاملة من الخيارات المتاحة للمخطط في هذا التوجه. (Fishman,1977 ,p:22)، وان واحدة من الرؤى في هذا النوع من اللامركزية قدمت في عام ١٩٧٥ من قبل الروائي Ernest Callenbach^{١٣}، في روايته Ecotopia، حيث اقترح انفصال سكان Ecotopia عن الولايات المتحدة الأمريكية في عام ١٩٨٠، والعمل على قيادة حياة أخلاقية بيئية في ولايات الساحل الغربي السابقة لواشنطن وأوريغون. (Haughton & Hunter, 1994, ,p:282)، و حدد المعماري ومخطط المدن كيفن لنج مدينة الصفيحة المنتشرة Dispersed Sheet كأحد الانماط التي تتسم بالمرونة العالية والحرية في النمو، حيث لا تفرض عليها قيود وسيطرة من قبل الإدارة والسلطات المحلية . (Lynch,1995,p:51)

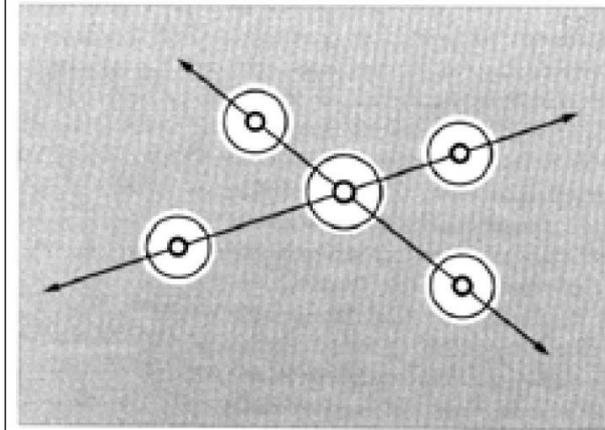


شكل (١) اللامركزية المتطرفة، المتمثلة في المستوطنات الصغيرة المنتشرة في مساحة واسعة

Houghton and Hunter, 1994 , p:279

٣-١-٢- توجهات الامتداد المعتدل (اللامركزية المعتدلة). Moderate Decentralization. ان اللامركزية المعتدلة تهدف الى وضع خطة لمجتمع نموذجي، وقد نشأت فكرتها من محاولة هوارد تصحيح تحيز Edward Bellamy^٤ الذي أكد على جمع قوى التركيز والمركزية في المجتمع في أواخر القرن التاسع عشر ورأى فيها إمكانية وجود نظام أكثر إنسانية. (Fishman,1977 ,p:38)، ويعد هوارد من المخترعين والمنظرين الذين ظهوروا في عصر الحفاظ على البيئة و تحسينها وكانت مساهمته متمثلة في "المدينة الحدائقية"، وهي خطة في اللامركزية المعتدلة والاشتراكية التعاونية. (p:22, Fishman,1977)، و تعد المدينة الخطية (Linear City) لسوريا ماتا واحدة من نماذج اللامركزية والتي اقترحها في عام ١٨٨٢ لتكون بطول ٥٥ كم خارج مدينة مدريد، وتشارك المدينة الخطية مع مدينة هوارد الحدائقية في العديد من اوجه التشابه. (Sodeholm,2016 ,p:7)، اما كيفن لنج فقد اقترح عدة انماط للأشكال الحضرية، كان احدها نموذج المدينة الحلقية (The Ring City) الذي اتسم بالمركزية

-) وإمكانية استيعاب النمو الحضري الجديد الى خارج المنطقة المركزية.
(Lynch,1995,p:57)



شكل (٢) اللامركزية المعتدلة، حيث تفصل المستقرات عن بعضها بالمساحات الخضراء والمفتوحة
المصدر: (Frey, 2005، p:43)

٣-٢- المركزية والسيطرة على النمو . Centralization and Control of Growth

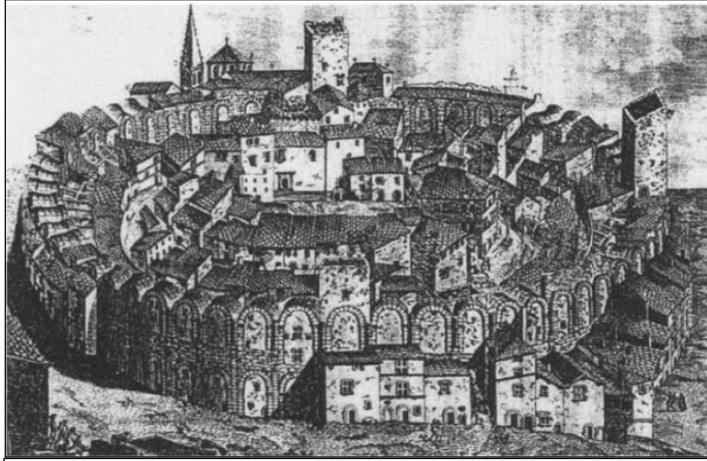
إن ابرز انصار فكرة المدينة المتراسة يؤيدون امتلاكها مزايا بيئية، حيث انها تعمل على تقليل استهلاك الطاقة، وتعزز الفوائد الاجتماعية، لكونها تتمتع بدرجة عالية من الاحتواء للتنمية الحضرية، وإعادة استخدام الهياكل والأراضي والبنية التحتية التي سبق تطويرها، و تجديد المناطق الحضرية القائمة، وبالتالي خلق الحيوية للمناطق الحضرية والحفاظ على الريف والمساحات الخضراء، كما توفر القرب في الاستخدامات الذي يعزز امكانية الوصول واستخدام وسائل النقل العام وتشجيع ركوب الدراجات والمشى ،

مع الحد من استخدام السيارة الخاصة، وهذا بدوره يعمل على خفض حجم حركة المركبات، والتلوث الناتج منها، ويحقق الكفاءة في استخدام الطاقة للوصول إلى المرافق المحلية (Thomas & Cousins, 1996, P:46)

ان الاختلاف الرئيسي في وجهات النظر المؤيدة للترافض تتلخص في امرين ، الاول في كون المدينة أحادية أو متعددة المراكز، (Frey, 2005، p:43) ، والثاني يتعلق بدرجة الترافض والتجانس من جهة والحجم أو المساحة الكلية للمدينة المترافضة من جهة أخرى، (Jenks et al, 2005, p: 202)، ويشير البعض إلى أن المدينة المستدامة يجب أن تكون مضغوطة من المركز إلى الحافة، مع مراكز مركزة كبيرة مثل مدينة القرون الوسطى، وقد تكون الأبعاد الإجمالية لهذه المدينة صغيرة نسبياً، والبعض الآخر يشير إلى أن المدينة قد تتكون من مستقرات مترافضة متعددة لا مركزية ولكنها مرتبطة بوسائل النقل العام، وفي هذه الحالة قد تكون المساحة المفتوحة بين المستقرات تختلف بحسب المسافة التي تفصل بينها ودرجة استقلال المستقرات واكتفاءها الذاتي. (Frey, 2005 p:43)

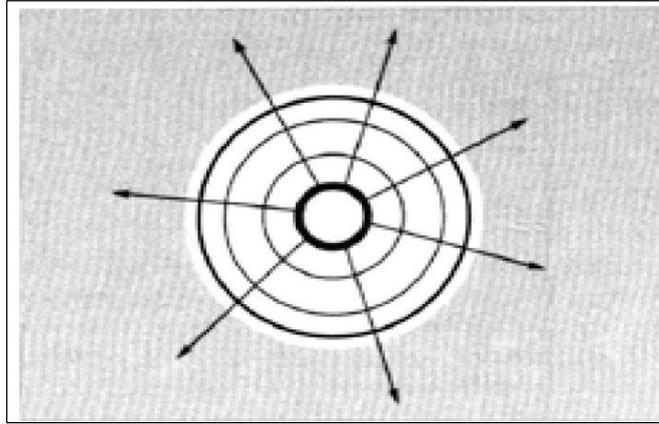
ويرفض كل من Scoffham & Vale^{١٥} المركزية المتطرفة Extreme Centralization ، ويقترحان بدلاً من ذلك تطوير أحياء فردية ذات هوية محلية مميزة وتكون لها سيطرة على مواردها المحلية. (Jenks, et al, 1996, p:8) ، كما يحدد كل من Owens & Rickaby^{١٦} المدينة المترافضة بنمطين رئيسيين تمثلاً بالمركزية Centralization، والتركيز اللامركزي Decentralized Concentration، والتي تكون على النقيض من أنماط الاستيطان الأخرى التي تتصف بالامتداد والتشتت (Thomas & Cousins, 1996, p:45) ، وقُدمت اقتراحات أخرى لأشكال المدينة المترافضة تتراوح : من المراكز المركزة الكبيرة Large Concentrated Centers ، إلى المستقرات اللامركزية المركزة

Decentralized Concentration، والتي تكون مترابطة ومرتبطة بوسائل النقل العام (Jenks, et al, 2005 ,p:3) مما سبق يمكن اجمال التوجهات الداعية الى المركزية بفرعين رئيسين :-
١-٢-٣ - توجهات التراص الشديد (المركزية المتطرفة). Extreme Centralization .
دعى مؤتمر الورقة الخضراء بوضوح للعودة إلى المدينة المدمجة، إذ أن العديد من المدن الأوروبية التاريخية لديها نوى كثيفة النمو والتي تعتبر أماكن مثالية للعيش والعمل، فهذه الأماكن لها كثافة سكانية عالية، وتشجع المزيج والتفاعل الاجتماعي اللذين يمثلان الخصائص الرئيسية للمدن التقليدية. (p:42 ، Frey, 2005) ، ويشير أصدقاء الأرض إلى أن المدينة يجب أن تكون مناسبة من حيث الشكل ومسافة المشي وركوب الدراجات وكفاءة وسائل النقل العام، وهذا يستحضر صورة لمدينة من القرون الوسطى . (Thomas & Cousins , 1996,P: 44



شكل (٣) مدينة القرون الوسطى.
المصدر: (Thomas & Cousins , 1996,P:45)

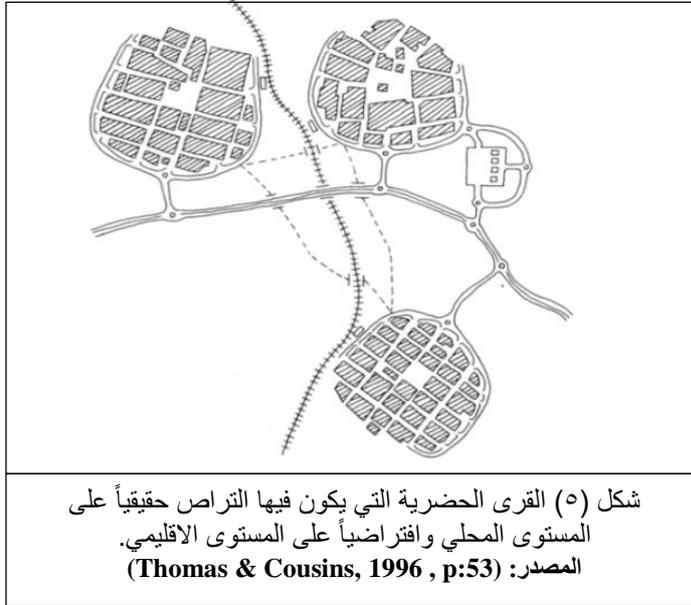
ومن الجدير بالذكر ان الحالة المتطرفة للمركزية أُقترحت في عام ١٩٣٥ من قبل Le Corbusier معمار المركزية في نموذج المدينة المشعة . (Breheny,1996,p:12). وعند النظر في فلسفة المدن نجد نموذج Civilia، الذي نُشر في عام ١٩٧١ ليعكس رؤية De Wofle لمدينته عالية الكثافة التي دعى فيها الى استعادة الاراضي التي دمرتها الصناعة وعمليات التعدين، وشجب الموقف المهيمن للتخطيط اللامركزي. (Breheny,1996,p:15)، وقد ورد شكل آخر أكثر تطرفاً للمركزية في اقتراح (Dantzig & Saaty) في العام (١٩٧٣) تمثل بـ المدينة المدمجة Compact City، التي تهدف إلى الحد من الامتداد العمراني والحفاظ على الريف المفتوح. (Breheny,1996,p:15)



شكل (٤) تجريد لمركز متراص. (المركزية المتطرفة)
المصدر: (Frey, 2005، p:43)

٣-٢-٢- توجيهات التراص المعتدل (التركيز اللامركزي). Decentralized Concentration.

لقد طُرحت تساؤلات عديدة عن المدينة المدمجة في ضوء الاتجاهات الاقتصادية، والأهداف البيئية، والتطلعات إلى نوعية الحياة والواقع السياسي، وخلصت إلى أن المدينة المدمجة "غير ناجحة وغير مرغوب فيها وغير قابلة للتطبيق". (Thomas & Cousins, p:47-51)، وان العديد من المعارضين للمدينة المدمجة احادية المركز، يدعمون مفهوم "التركيز اللامركزي"، ومفهوم المدينة المتعددة النوى على مستوى المدينة او اقليمها، والتي تكون في عدد من المراكز الصغيرة بدلاً من تركيز الاستخدامات في المدينة المدمجة أحادية النواة، ويظهر ذلك بشكل متعدد النوى في المناطق الحضرية للمدن أو القرى، عن طريق مواصلة اعتماد سياسات الاحتواء في المناطق الحضرية، وإعادة تنشيط المدن، مما يقلل خسائر السكان والوظائف، وتشجيع الاستخدام المختلط في المدن، وعدم تقسيم المناطق، والعمل على تطوير أنشطة كثيفة للسكان حول عقد النقل العام، وتحسين النقل العام داخل وبين المدن، والعمل على تشجيع التخضير على المستويين الحضري والإقليمي. (Frey, 2005، p:39)، وبدأت الدعوة إلى اشكال حضرية لامركزية، تكون مترابطة مادياً على المستوى المحلي، وافترضياً على المستوى الإقليمي عن طريق محاور النقل المعتمدة على وسائط النقل العام، حيث يتكامل التراص الحضري مع التراص الإقليمي، وتكون الطرق بين المستقرات فعالة جداً لتقليل أوقات السفر والمسافات. (Thomas & Cousins, 1996 , p:52)

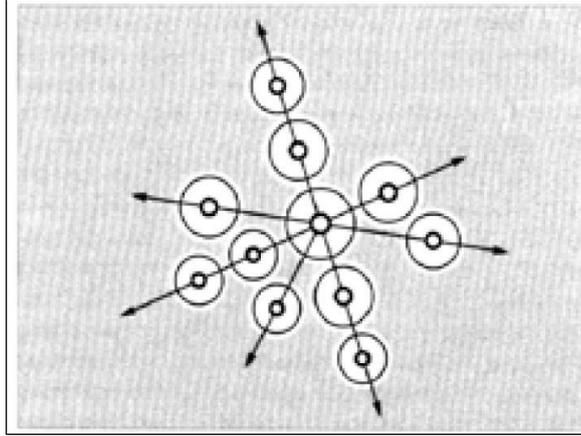


شكل (٥) القرى الحضرية التي يكون فيها التراص حقيقياً على المستوى المحلي وافترضياً على المستوى الاقليمي.
المصدر: (Thomas & Cousins, 1996 , p:53)

وقد اكدت ابحاث النقل وانماط استخدام الاراضي والطاقة أن التنمية الخطية عالية الكثافة تكون أقل كفاءة من أنماط النمو المتمثل بـ"القرى المشتتة" إذ تشير هذه الابحاث إلى أن نظام النقل السريع بالسكك الحديدية الخفيفة بين تركيزات التنمية اللامركزية من شأنه أن يزيد من جاذبية هذا النموذج وكفاءته في استخدام الطاقة، وقد اعترف العديد من مؤيدي المدن المتراسة بأن هذا الشكل يمكن أن يوفر بديلاً واقعياً جيداً للمدينة المتراسة. (Thomas & Cousins, 1996, p:45)

ان التنمية المتراسة الجديدة المتمثلة بنهج التركيز اللامركزي، تتمتع بعوامل الجذب، وتشمل عدد من النماذج العملية كنموذج التنمية الموجهة بالنقل (T.O.D)، وقرى المرور العابر (U.V.)، والتنمية التقليدية الجديدة (T.N.D)، و من الخصائص الأساسية لهذه المبادرات جعل المناطق الحضرية جاذبة

للسكان المحتملين والمقيمين ، اذ يُؤخذ بنظر الاعتبار استمرار الطلب على المنازل والشركات في مجموعة متنوعة من المواقع، لذلك فان من المهم ان تتوفر المرونة في العرض للسماح للسكان في اختيار مكان سكنهم وعملهم. (Jenks, etal,2005 ,p:298)



شكل (٦) التركيز اللامركزي للمستوطنات المتراسة.
(Frey, 2005، p:43)

مما تقدم يمكن تلخيص التوجهات الداعية الى الامتداد والتراص الحضري بتوجيهين اساسيين تمثل الاول باللامركزية وحرية النمو والذي يشمل اللامركزية المتطرفة (الامتداد الشديد) واللامركزية المعتدلة (الامتداد المعتدل)، اما التوجه الثاني فقد تمثل بالمركزية والسيطرة على النمو والذي يشمل المركزية المتطرفة (التراص الشديد) والتركيز اللامركزي (التراص المعتدل)، ولكل من هذه التوجهات مجموعة من النماذج التخطيطية للمدن التي تمثلها.

الاستنتاجات:

- مما تم تناوله من دراسة مفهومي الامتداد والتراص الحضري وتوضيح التطور التاريخي لهما، وصولاً الى تحديد التوجهات الفكرية الاربعة، يمكن تلخيص ما تم التوصل اليه في النقاط الآتية :
- ١- ان مفهومي الامتداد والتراص الحضري هما مفهوما قديمان ظهرا منذ ما يقرب المئة عام، ولكن تجدد النقاش حولهما بيزوغ المفاهيم التخطيطية الحديثة كمفهوم الاستدامة والحفاظ على البيئة.
 - ٢- ان الدعوة الى الامتداد المعتدل ظهرت بعد الحرب العالمية الثانية والثورة الصناعية في محاولة لإنشاء مجتمعات سكنية جديدة تلبى الحاجة السكنية ونقص في المعروض السكني في المدن الكبيرة وتكون بعيدة عن التلوث .
 - ٣- ان لنموذج هوارد دوراً بارزاً في اثارة النقاش في موضع الاشكال الحضرية الممتدة والمتراصة، عن طريق طرحه لفكرة المدينة الحداثكية، التي تمت قراءتها وتفسيرها بأكثر من توجهٍ.
 - ٤- صعوبة الفصل بين الخطوط الفكرية وبالأخص في منطقة الاعتدال بين الامتداد والتراص، وذلك بسبب تعدد الاشكال ضمن الفترات الزمنية نفسها، وتأخر ظهور التطبيقات الفعلية للأفكار المطروحة.
 - ٥- أنصار توجه الامتداد الشديد هم الاقل عدداً بين مؤيدي التوجهات الفكرية الاخرى، فضلا عن ان دعوتهم الى هذا التوجه تنطوي على الجوانب الاجتماعية وعودة حق المجتمع في الملكية.
 - ٦- يميل العديد من الباحثين في الآونة الاخيرة وخصوصاً بعد ظهور مفهوم الاستدامة نحو توجه التراص المعتدل كونهم يعتقدون بقدرته على الموازنة بين الابعاد الاجتماعية والبيئية والاقتصادية.

الهوامش:

- ١ Michael Breheny : مخطط وبرفسور في قسم الجغرافية في جامعة (Reading) في إنجلترا، متخصص في تخطيط وإدارة قطاعات النمو الاقتصادي الجديد .
- ٢ Barry Parker & Raymond Unwin : معماريان ومخططان عملا على تحسين السكن للطبقة العاملة بالاستفادة من افكار هوارد ، لهم ارتباط بحركة الحرف والفنون التي ظهرت كردة فعل على الثورة الصناعية.
- ٣ John Charles Reith لورد بريطاني أنشأ خدمة البث الإذاعي العامة المستقلة في المملكة المتحدة. واصبح مدير عام لشركة الاذاعة البريطانية BBC في العام ١٩٢٢ ، و رئيس للجنة تخطيط المدن الجديدة في Stonehaven ، في عام ١٩٤٥ .
- ٤ Ian Douglas Nairn ناقد معماري بريطاني صاغ مصطلح " Subtopia " للإشارة إلى الضواحي الكئيبة التي انتجها التخطيط الاقليمي.
- ٥ I Ivor de Wolfe هو الاسم المستعار للمعماري البريطاني Hubert de Cronin Hastings كاتب ورئيس تحرير مجلة (AR) Architectural Review والحاصل على الميدالية الذهبية للهندسة المعمارية من المعهد الملكي للمهندسين المعماريين البريطانيين.
- ٦ Civilia كتاب لـ De Wolfe اصدده في ١٩٧١ بعد سلسلة من المقالات نُشرت في مجلته (AR) حيث ناقش فيه مشهد المدينة.
- ٧ George Dantzig أستاذ فخري في علوم النقل وأستاذ بحوث العمليات وعلوم الكمبيوتر في ستانفورد الاميركية، و Thomas Saaty مهندس معماري وأستاذ في الاحصاء وبحوث العمليات في جامعة بيتسبرغ الاميركية.
- ٨ Jeffrey Kenworthy & Peter Newman : بروفيسوران في جامعة Curtin للتكنولوجيا الاسترالية مختصان في مجال استدامة المدن والنقل والبنى التحتية.
- ٩ Richardson Jef& Gordon : بروفيسوران في الاقتصاد في جامعة كاليفورنيا الاميركية. اهتماماتهم في الاقتصاد الحضري وتنمية المدن وقضايا الامتداد العمراني .

- ١٠ Peter Caltonore : مهندس معماري و مخطط و مصمم حضري. وهو عضو مؤسس في هيئة العمران الجديد ، في شيكاغو والتي تشكلت في عام ١٩٩٢ من اجل تعزيز ممارسات الاستدامة.
- ١١ Andrés Duany & Elizabeth Plater-Zyberk : مهندسان معماريان أمريكيان، ومخططان حضريان، اسسا شركتهما التي تدعى (DPZ) عام ١٩٨٠ والتي قادت الى ظهور التحضر الجديد .
- ١٢ Robert Fishman: بروفيسور في الهندسة المعمارية والتخطيط العمراني، في جامعة ميشيغان متخصص في تاريخ التخطيط الحضري، وتاريخ الهندسة المعمارية.
- ١٣ Ernest Callenbach: مؤلف أمريكي، وناقد أفلام ومحرر، كتب في القضايا البيئية وصلتها بالنظم والقيم الإنسانية والأنماط الاجتماعية، حاصل على درجة الدكتوراه الفخرية من جامعة Freiburg الأمريكية.
- ١٤ Edward Bellamy : كاتب وروائي أمريكي اشتراكي له رواية تدعى (النظر إلى الماضي)، حيث قدم فيها رؤيته لعالم متناغم في المستقبل.
- ١٥ Ernie Scoffham & Brenda Vale بروفيسوران في العمارة في جامعة Nottingham متخصصان في الاستدامة و البيئية
- ١٦ Susan Owens: حاصلة على الدكتوراه الفخرية من كلية العلوم والتكنولوجيا - ستوكهولم، و باحثة على نطاق واسع في الدراسات البيئية والاستدامة، و Peter Rickaby: مهندس معماري حاصل على الدكتوراه في دراسات الطاقة من Open University ، وباحث في الجوانب المتعلقة بالطاقة في التخطيط الحضري والإقليمي.

